الفنون العربية في شهر

المعرض السادس لجماعة بغداد

بقلم السيدة احسان الملائكة

قامت جماعة بغداد للفن الحديث بعرض لوحات اعضائها في معرضها السنوي السادس فاسترعت صورها الانظار وأثارت الاعجاب كما عودت رواد المعارض في مرات سابقات . واعضاء هذه الجماعة يكافحون في سبيل ايجاد الكيان الفني لانفسهم . وفي معارضهم يلحظ المرء مرة بعد اخرى مدى التطور الذي يطرأ على فنهم كلما مرت الايام وعبرت السنوات. وفي مقالي هذا سأتحدث عن كل من الرسامين الذين عرضت لهم الصور في المعرض ، مفردة له بحثا او جزءا من المقال ، كي تتكون عند القراء الذين لم تتح لهم فرصة مشاهدة المعرض ، فكرة اجمالية عنه ، مع تقديم الاعتذار الى كل فنان تشتد عليه كلماتي او يجد فيها قسوة لا مبرر لها ، اذ ليس بيني وبين اي منهم ما يوجب الغضب او يدعو الى الغيظ .

جواد سليم :

رئيس الجماعة وهو احسن قدوة لاعضائها ببحثه المتصل ودراساته الدائمة وتجاربه التي لا انقطاع لها . فهو فنان دؤوب ، وتلك هي الميزة الاصيلة لكل فنان يسعى الى كشف اسرار الحياة والتعبير عنها بواسطة فنه . وعلى الرغم من نبوغه وغزارة علمه في فني الرسم والنحت تجده على استعداد دائم لان يجعلك منه بمنزلة الناقد فيتقبل منك كل ما تقول بصدر رحب حتى ولو كنت اجهل الناس بهذا الفن . وذلك راجع بلا ريب الى تحرر تام في فكرة وسعة عميقة في ثقافته ومرونة كبيرة في شخصيته ، وقل من الفنانين من جمع في شخصه كل هذه الميزات في آن واحد .

وفي الصور التي قدمها في هذا المعرض نجد ثلاثة اساليب ، فأولا هذا الذي سارت عليه صورتاه (صبيان) و (الخياطة) وهو اسلوبه المعروف وثانيا الاسلوب الذي ميز لوحته الجريئة (ليلة المحيا) وثالثا اسلوبه الطريف في لوحتيه البديعتين (بائع الشتول) و (قصة الاوزات الثلاث) من قصص الف ليلة وليلة .

اما (صبيان) فهي صورة لطيفة تفيض حنانا وتثير في القلب مشاعر نبيلة من الشفقة والعطف، فقد وقف في مقدمتها طفلان مهلهلا الملابس يأكلان بشراهة بعض فواكه الصيف ، وتعمد الرسام ان يجعل (شيف الركي) بيديهما كبيرا ككبر في معدتيهما الجائعتين كما اعطاه لونا رديا ليبين مدى شعورهما بلذة (الركي) المبرد والمريح في لفح صيفنا !

اما (يوم المحيا) العجيبة فتتجه عين الاتجاه الذي وجدناه في لوحة معرض السنة الماضية الموسومة (بالفرس) رغم اختلاف الالوان وتغير الحركة ، اذ ان كلا الصورتين ينبع من مصدر واحد في نفس صانعهما . هذا المنبع هو شعوره المرهف بخطورة الاساطير في تاريخ العرب وحياتهم. ان غرابة الصورة تبدو في ذلك اللون الاسود الذي لون به الشكلان : الفرس ، والرجل ، على ارضية وخلفية بلون واحد هو (الاوكر) ، كما ان حركة الفرس الى الاعلى رغم ضخامة بدنه مع حركة يدي الرجل الواقف الى جانبه تبدوان على اتم انسجام ، والحق انهما ليستا حركتين وانما نغمة موقعة ابدع ايقاع .

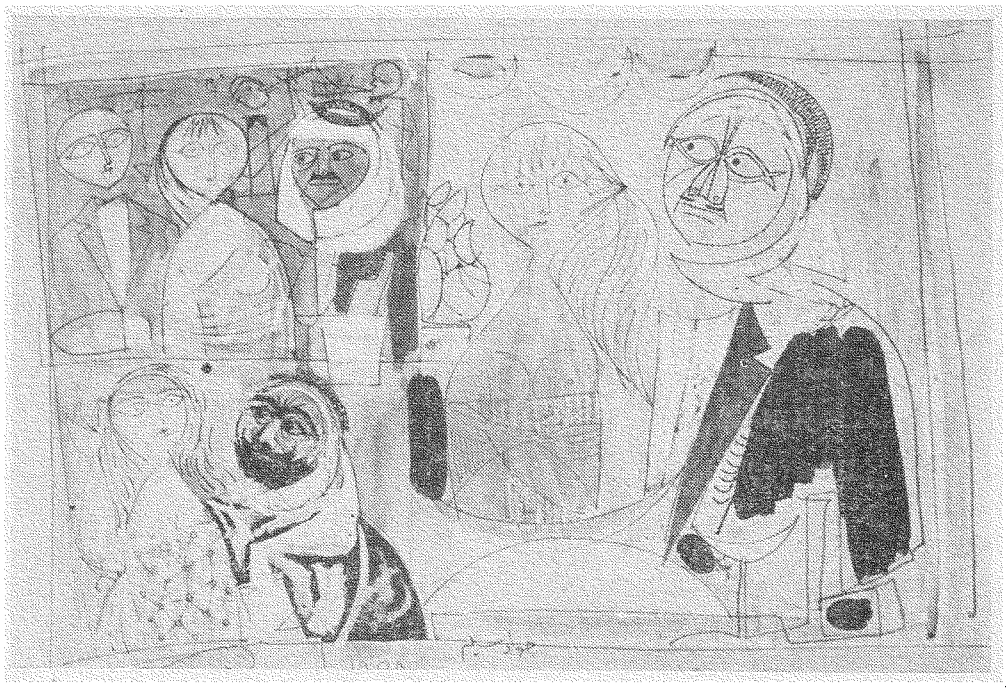

« الشيخ والراقصة » لجواد سليم

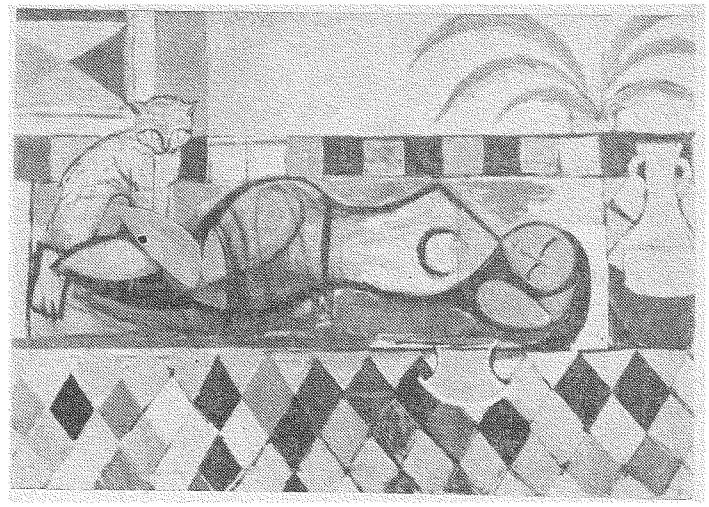

القيلولة ـ لجواد سليم

ثم نصل الى لوحتي (بائع الشتول) و (قصة الاوزات الثلاث) اللتين تبلورت فيهما شخصية جواد سليم . واسلوب هاتين اللوحتين هو احياء لاسلوب مدرسة بغداد في القرن الثالث عشر ، وهي المدرسة التي يمثلها الرسام العراقي المبدع : الواسطي . وبهذا العمل قام جواد سليم بفتح الباب على مصراعيه لافراد (الجماعة) كي يشرعوا في تحقيق ما بدأ به هو من بعث فن حديث يجمع بين الروح الشرقية الاصيلة والنفسية العربية الحديثة .

من المعروف ان الاعتماد على اللون الابيض كخلفية للصورة ليس بالامر اليسير لانه يشتت الموضوع ولا يجمعه ولكن الاستاذ جواد استفاد من سلسلة تجاربه على السطح الابيض فجاءنا اخيرا بالعجب العجاب ، كما ان نهمه العميق لقابليات الالوان الهادئة « الباردة » اعانه على الوصول الى مستوى عال من الكمال الفني . وهذا الفهم راجع بلا ريب الى طبيعته الخاصة .

على ان (قصة الاوزات الثلاث) تتفوق على (بائع الشتول) بحيوية في بناء الموضوع وتنويع في الالوان بخيال حلو ، وهذه الصورة مصممة للحائط فيما اعتقد ، وتبرز فيها مقدرة الفنان جواد سليم في هذا الفن .

لورنا سليم :

تمتاز صور لورنا بنعومة ورقة نادرتين ولديها عفوية وبساطة محببتان الا ان الملاحظ على اسلوبها ، تاثر شديد باسلوب الفنان جواد سليم الى حد غير مقبول ، فلوحاتها تكاد تختلط بلوحات زوجها ، ولكن الفرق بين الاسلوبين واضح للعين المتفحصة ، فان اسلوبها لا يخضع لعامل التطور وهو لا يكاد يتبدل ، وريشتها لا تزال متهالكة . ومع اكبار الجميع لجهود هذه الفنانة ونجاحها الكبير في التوفيق بين اعمال المنزل وارضاء النزعة الفنية مع تحمل كل الاعباء الاخرى التي تقع على كاهلها فان الفن في الوقت ذاته قاس لا يرحم وهو لا يستنبط اعذارا للناس . انه في نهم دائم الى الحيوية المتدفقة والابتكار المستمر والابداع المثمر .

من افضل الصور التي عرضت لها : عائلة ، اذ تجمع الموضوع وحدة حلوة وهي ناجحة في التعبير عن المعاني التي قصدتها الرسامة .

نزيهة سليم :

وما دمنا بصدد الحديث عن آل سليم فمن الافضل ان تكمل المجموعة فنتحدث عن الصديقة الفنانة نزيهة سليم . ومن الواجب ان يذكر اسم نزيهة مع اخيها السيد جواد ، فهي ايضا من المدرسة نفسها الا انها منح ذلك ذات كيان مستقل ، فمن جهة تبدو على لوحاتها تاثيرات الاستاذ فائق حسن وخصوصا في شفقه المشهور بلون (الاوكر) فنجد هذا اللون في لوحتها الحية (الكواز) وقد احسنت استعماله وبدت (الكوزات) فيه تتلألأ زهوا وافتخارا . وثمة تاثيرات اخرى في فن نزيهة اهمها تاثير طابع الفن المسيحي الاوروبي في القرون الوسطى ، فهي تحرك رقبات اشخاصها حركات مقننة تستعين بها على اظهار المعنى المقصود ، هذه الحركات هي تكرار لوضعيات الاشخاص في الصور المسيحية الاولى التي كان يقصد بها اظهار معاني القداسة والوداعة والطهر والتسامي . يتجلى هذا خصوصا في لوحتها التعبيرية (سمر النساء) ، ومن تلك التاثيرات اللون الذهبي الذي كتلت به موضوع هذه اللوحة ووحدته . هذا اللون يعيد الى الذاكرة الهالة المذهبة التي كان المسيحيون يحيطون بها رؤوس قديسيهم ليضفوا عليهم معاني القداسة .

ان (سمر النساء) صوره حية كل ما فيها يرقص او يوقع لحنا. ان الاجساد تهتز اهتزازا غامضا عليه مسحة صوفية عجيبة ، والالوان الشفافة الحارة في الملابس تخلق صخبا وضجيجا نعرفهما في المجتمعات النسائية عندنا . انها صورة ذات خطورة اجتماعية بالاضافة الى قيمتها الفنية .

فرج عبو :

الاستاذ فرج رسام حذر ومدقق وهو ذو دراسة طيبة في اصول التكنيك ، وحين يعمل يندمج في عمله الى حد ينسى معه بانه انما يعمل لكي يعرض اعماله على الناس وليس لنفسه فقط . ففي هذا المعرض وجدناه سعيدا بلوحته (الجزائر) ، اذ بذل فيها جهد اشهر طوال كما يقول ، فلا عجب ان يكون لها في نفسه منزلة عظيمة ، وهو يشرح المعاني التي قصدها في صورته ويفسر اسباب هذا وذاك مما وضعه في اللوحة من الوان واشخاص واشجار الخ. يفعل ذلك كله ليقنع الاخرين بما اقتنع به هو من اهمية هذه اللوحة في تطوره الفني . ومن الانصاف ان يذكر الناقد لهذا الفنان الجهد المضني الذي بذله في هذه اللوحة على الاقل ، فالموضوع حساس ودقيق ، وقد عولج عشرات المرات في الشعر والنثر والرسم والنحت في انحاء العالم العربي ، بالاضافة الى اهمية الجزائر نفسها من زاوية الواقع الذي يعيشه كل عربي اليوم . والاستاذ فرج لم يتهرب من الاسلوب الكلاسيكي الى الاسلوب التجريدي مثلا لمعالجة هذا الموضوع بصورة اسرع وابسط واكثر تاثيرا ، وانما آمن بمقدرته ومهارته

سمر النساء ـ لنزيهة سليم

« فتـــاة » ـ لفرج عبو

ومكث الايام الطوال في مرسمه يكد وينهك اعصابه راسما بتؤدة دائبا على العمل حتى اخرج اللوحة بهذا المظهر .

كل هذا صحيح وكل الاسباب التي ذكرها حول جمود الخيل وهزال الجندي الفرنسي وهدوء المحكوم عليهم بالاعدام والتعذيب من الجزائريين، وانعدام الشمس واهمال الجو والهواء والزمن في الصورة ، كل ذلك مقبول ما دام الفنان قد تعمده تعمدا ، ولكن ذلك لا ينفي ان اللوحة بعد كـل شيء ليست بذات وزن من الناحية الفنية ، انها تفتقر الى الحيوية وذلك بسبب اتساخ الالوان واعتماد الرسام على الوان لا تلائم هـذا الموضـوع وخصوصا البنفسجي الذي من شأنه ان يضفي على الموضوع جو الاحلام والوداعة ، بينما لم يكن للرسام اي قصد رومانتيكي . فالموضوع مقسم الى جماعتين ، احداهما من الفرنسيين المدججين بالسلاح وهم يطلقون النار على جمع من العرب الجزائريين فيهم النساء والاطفال والشيوخ وهم عزاة حفاة ولا سلاح لهم . وقد بدا على العرب استرخاء غريب لا تفسير له وهم ينظرون الى جلاديهم ببلاهة وكأنهم مدمنو حشيشة في احـد ملاهي باريس !

ومهما قال الرسام في دفاعه البليغ عن اسباب هذا البرود المؤذي الذي اضفاه على المحكوم عليهم ، وجلاديهم معا ، فان ذلك لا ينفي انه فشـل في بعث الحياة بالصورة ، وكان عليه ان يفي الموضوع حقه ، والا فمن الافضل الا يدخل نفسه هذا المدخل .

لقد عرض الرسام محمود صبري في معرض الرواد قبل شهر صـورة تمثل الموضوع نفسه : الجزائر ، ومع ان تلك اللوحة لم تخل ممـا تؤاخذ عليه الا ان الفنان نجح نجاحا عظيما في التعبير عن المشاعر المحتدمة في نفس كل عربي الان ، وهو يدرك ما يحدث لاخوانه هناك من تعذيب ومهانة . وبدا الاحمر الذي يصبغ الصورة كأنه دم حقيقي واذكـر ان جماعة من الاوربيين كانوا يشهدون المعرض في احد ايام العرض وحـين وصلوا الى تلك الصورة اعني صورة السيد صبري ، اصيبوا بمثل الصدمة المفاجئة واشاحوا بوجوههم دفعة واحدة ، بحركة غير ارادية ، فقد كانت تصفع انسانيتهم . ان قسوة هذه اللوحة تعود الى ان الفنان كان يشـعر وهو يرسم بفعل الخناجر التي تمزق اجساد اخوتنا واخواتنا في البلد الحبيب ، وكل ما فعله انه نقل احساسه بامانة الى اللوحة .

وليس للاستاذ فرج عبو عذر في احتجاجه ببعده عن مسرح حوادث الجزائر . فها هو جان بول سارتر يهز العالم بمقالاته الملتهبة عن الجزائـر وهو الفرنسي ، هل يكون الفرنسيون اكثر تأثرا بالموضوع منا نحن العرب ! والواقع ان المسألة كلها يجب ان ينظر اليها من زاوية اخرى . اذ ينبغي للسيد فرج ان يعترف بان ضعف صورته هو مسألة تكنيكية وليست موضوعية .

لقد طال الحديث عن هذه اللوحة وما كنت ارغب فيه لولا ان الأستاذ فرج عبو هو الذي يريد اضفاء هذه الاهمية عليها . على اني ارى ان لوحاته الاخرى في المعرض نجحت فيما فشلت هذه فيه ، اذ ان (مصـيف السولاف) و (مهرجان الهلال الاحمر) صورتان حيتان اثبتتا ان فن الاستاذ عبو يتطور نحو الافضل وسوف نتوقع منه الافضل في المعارض القادمة .

فاضل عباس

رسام انطباعي ذو أصالة ، وهو مخلص لانطباعيته ولكنه للسبب نفسه صار يكرر نفسه في لوحاته ، فصورتاه (السوق الكبير) و (سـوق الشموع) تكرار لموضوع مماثل رسم لمعرض «المنصور» . اما (كنيسةالارمن) فهي تكرار للمساجد التي عرضت له في معارض اخرى !! وهذا امـر يثير اشد الاستغراب ، اذ كيف يفوت السيد فاضل عباس ان الفـرق كبير بين تصميم المسجد وتصميم الكنيسة فضلا عن الاختلاف التام بين الروحية والجو في البنائين ، ولا ينبغي لي انا ان ادله على هذا الفرق ، فهـو ادرى به مني بالتاكيد.

على ان الصورة الوحيدة التي تبدو فيها محاولة جدية للابداع : صورة (بائعات الخبز) فقد اعتمد الرسام على اسلوب جديد في رسم الاشخاص واعطى للصورة مظهر غموض اقرب الى السريالية . واذا كانت هذه الصورة تمثل اتجاها جديدا في فن السيد فاضل فاننا نتوقع ان يواصل العمـل في تطوير هذا الاسلوب حتى يجد ما يبحث عنه فيه .

أفضل لوحاته في هذا المعرض صورة (سوق الشموع) فالموضـوع متماسك ، وبناء الصورة لا تكلف فيه والالوان حية تمثل جونا بدون مبالغة ولا تهويـل .

خالد الرحال :

نعرف السيـد خالد الرحال نحاتا موهوبا ، ولكننـا بدأنـا نرى صورا موقعة باسمه تملأ المعارض لاسيما هذا المعرض وليس مـن شان احد ان يعترض على نحات اذا شاء ان يصبح رساما ولكن الـذي اعرفه ان صوره لا تبلغ مستوى منحوتاته . وما كان الامر ليثير اهتماما لو انه واصل عمله الاساسي في النحت مضيفا اليه شيئا من رسوم يده . ولكن الذي حدث ان المنحوتات قلت الى النصف بينما زادت المرسومات الى الضعف! فقد عرض في هذا المعرض عشر صور وخمس منحوتات . وهو

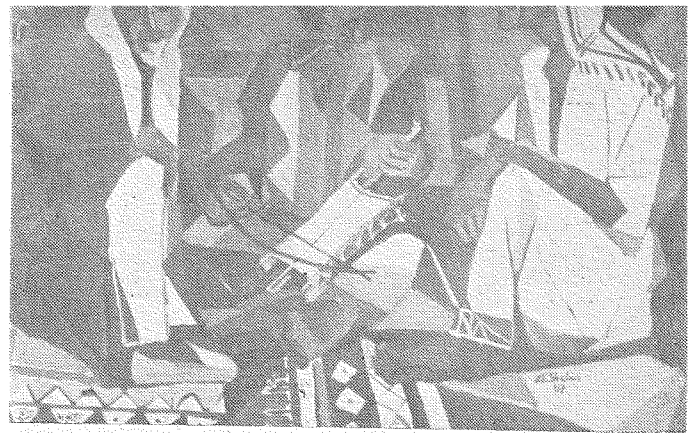

بعد النهار ـ لعلي الشعلان

في صوره يتخذ له اسلوبا خاصا وتكنيكا اخص ولا يحيد عنهما . ومهما كان رأي الاستاذ الرحال في هذه الصور ، فان احدا لم يجد فيها ما كان يجده في منحوتاته الجميلة التي تفور فيها الحياة وتتدفق القوة والحركة. ومع ان هذا ليس مجال الحديث عن المنحوتات في المعرض الا اني اود ان اشير الى (رأس جميلة بو حيرد) وهو التمثال الذي عرضه الفنان على انه يمثل جميلة العرب وبطلتهم . ولا احد يدري ما الذي اوحى للسيد الرحال ان يطلق على تمثاله هذا الاسم المقدس ؟ فهو يمثل حسناء باهتة الشخصية مكتنزة باللحم جامدة التعبير ثقيلة الروح ، افما كان حريا بهذا الفنان ان يدرس شخصية البطلة ويقرأ كفاحها قبل ان يفكر في تشويه شخصيتها على هذه الصورة ؟ وكيف يرضى الفنانون العرب ان يتحمل ادباء فرنسا نفسها مسؤولياتنا ثم نتملص نحن منها بحجة بعدنا عن مسرح الحوادث .!؟؟

علي الشعلان :

ارجو ان اوفق في حديثي عن (علي) الى عدم التحيز لاني اشعر بان حماسي لصوره الاخيرة شديد ، فكيف اخلص نفسي من هذا المازق ؟

كان اجدادنا العرب حين يقفون مثل هذا الموقف يسلكون سبيلا سهلا اذ يستعيذون بالله الهادي من ابليس المضل ويظهرون مزيدا من التواضع له تعالى ، وبعد ذلك يطمئنون الى خلوص نياتهم ، فتستجيب لهم قلوب قرائهم وتحل الثقة بين الطرفين بالطف وسيلة . فلاتبع هذا السبيل اذ ليس لي غيره ، واقول بعد الاتكال عليه وحده : ان الفنان حين يكتشف اسلوبه فكانه يكتشف نفسه ، تلك حقيقة معروفة واعتقد ان ابا ملهم قد وجد اسلوبه اخيرا ، فها هو يشعر لاول مرة خلال كفاحه الفني انه شرع يصل الى اليقين .

لقد عرض اربعة مواضيع شعبية ، اولها (بعد النهار) يمثل ثلاثة من الاعراب يستريحون بعد عناء النهار ، وفي مقدمة الصورة يتلألأ سجاد اسلامي التصميم جلس فوقه ثلاثة من الاعراب ، احدهم يبدو محور الموضوع وقد جاس ووجهه الينا مشيحا عن صاحبيه وكانه قد انتهى توا من الافضاء اليهما بحديث خطير . ومقابل هذا السيد الرصين جلس صاحب له في ملابس بيتية وهو يمد عنقه بحركة رشيقة وبلهفة بالغة وكانه يشاركه قلقه . اما الرجل الثالث حامل القيثارة فكانه ما جلس هناك الا ليسلي صديقه الذي لا يرضى ان يتسلى . انه موضوع درامي ويبدو كانه التقط بالكاميرا على غفلة من الرجال الثلاثة، اذ تتمثل في الصورة لحظة زمانية راكضة نجحت ريشة الرسام في القبض عليها وتسجيلها بكل الحياة التي فيها .

ان تركيب الموضوع وبناء الصورة طيبان ، وهناك وحدة ظاهرة تجمع الموضوع ، وسبب ذلك توفيقه في استعمال لونه المحبوب (الاوكر) على مختلف درجاته . وقد بلغ توفيقه في استعمال هذا اللون حدا جعل الذين يكرهون استعماله بكثرة ينسون اراءهم ويشعرون بالراحة حين يتأملون في الصورة . والفنان انما يعاب عليه استعباد اللون له . اما اذا كان هو الذي يذلل الالوان لريشته ويملك السيطرة عليها فلن يضيره شغفه باحدها شغفا كبيرا . وكمثل على هذه الحقيقة توفق (جواد سليم) الى اكتشاف اسرار (الابيض) مع ما يعرفل كل من مارس الرسم من صعوبة استعماله وكثرة مشاكله .

على ان هذا كله لا يعني ان لوحة (بعد النهار) التي كنت اتحدث عنها، كاملة لا عيب فيها ، فهناك مآخذ كثيرة يمكن ان يلام عليها صاحبها . منها حرص (علي) وعنايته بتنظيم جلسة الرجال الثلاثة تنظيما هندسيا قد يثير الملل ، ومنها ضيق رقعة القماش وكثر الاشخاص والاشياء والاشكال التي تزحم الموضوع الى حد تتعب معه العين ، ومنها اهمال الرسام للرجل الثالث فلا يكاد المشاهد يعلم اهو جالس في الظل ام ان كثر الالوان القوية منعت الرسام من اضافة الوان قوية اخرى لتحديد شكل هذا الرجل كي لا يبدو زائدا في الصورة ، ثم ما ضرورة هذه القيثارة في يده؟

وهناك صورة (حمالون) التعبيرية وصورة (الشورجة) التي تتجه اتجاها سرياليا تعبيريا . واخيرا صوره (السعدية) التي لا نفهم سر تسميتها بهذا الاسم لانه يثير في انفس العراقيين ذكريات كارثة السعدية الفريقة ، بينما نجد موضوع الصورة لا يخرج عن مجموعة من الحمير تستريح بعد عناء التعب . ولماذا لا يستريح الحمير الا في السعدية من كل انحاء الدنيا ؟! على ان الصورة بحد ذاتها لطيفة وجيدة

وفي المعرض لوحات اخرى كنت اود الحديث عنها مثل (صديقة) لبوغوص بابلانيان و (الذراع) لجبرا ابراهيم جبرا و (جني الثمار) لالفريدا رحال لولا ان الحديث طال الى حد الاملال بينما اعتقد .

وقد عرض للرسام المبدع السيد شاكر حسن لوحتان قديمتان بسبب غيبته في باريس ، وليستا من خير انتاجه ، ولذلك نؤجل الحديث عن صوره الى ان يعرض لوحاته الجديدة في معرض اخر ان شاء الله .

بغداد **احسان الملائكة**

« هور ابو نجم » ـ لخالد الرحال